

الكتابة السوداء



الكتاب الأول ١٩٨٨



نصوص أخرى

الموتى

يصبحون كل يوم

أصعب مراسا

مختارات من أشعار

روكى دالتون

ترجمة احمد حسان

تقديم

عزيزى خورخى :

لقد وصلت إلى الثورة عن طريق
الشعر . سيكون بإمكانك أن تصل (إذا
شئت ، إذا أحسست بالحاجة لذلك)
إلى الشعر عن طريق الثورة . ولك بذلك
ميزة . لكن تذكر ، أنك لو كنت
قد وجدت ذات مرة دافعاً خاصاً للاحتجاج
بصحبتي فى النضال ، فبعض الفضل
فى ذلك يعود أيضاً الى الشعر .

هذا الاهداء لديوان « الحانة وأماكن أخرى » يؤكد أول كلمتين
تتبادران إلى الذهن عند ذكر شاعر السلفادور روكى دالتون : الشعر
والثورة . كلاهما يتخذ الانسان محوره ، وينطلق من الطموح الى تحقيق
الحلم فى عالم جديد أكثر ألفة وأدمية . وكلاهما – وخصوصاً فى عالمنا
الثالث – طريق طويلة دامية . تتلاقى الدروب لكنها لا يمكن أن تكون
متطابقة . فالشاعر ضرورة للثورة بقدر ما يكون الثورة ضرورة للشاعر حتى لو
قادتة الى حمل السلاح كما فعل دالتون . وكلما طال أمد الصراع
تعلت نداءات الانضباط وسعت المقولات الجاهزة الى تلخيص العالم فى
أقراص مهدئة تخفى آلام المقاتلين . فهل باستطاعة الشاعر أن يغفل
الآلام والأحزان بل والشكوك التى هى مادة إكتشافه المتجدد ومادة حياة
من يفتحون طريق الحلم ؟ هذا السؤال بالضبط هو الذى حدد دراما حياة
روكى دالتون وموته التراجيدى . كان دالتون قد ولد فى العاصمة سان
سلفادور عام ١٩٣٣ ودرس القانون والانثروبولوجيا وقاوم القمع والاضطهاد
فى بلده فسجن مرات ونفى وحمل السلاح لكنه ظل مع يقينه بضرورة الثورة
يحمل همومه وشكوكه التى لم تناسب إنضباط البعض الجامد . فكان موته
عام ١٩٧٥ على يد بعض رفاق السلاح ليثبت من جديد أن المقولات
الجاهزة مازالت أسلحة فاسدة محشوة بالبارود .

نشر دالتون بضع دراسات وعدة دواوين شعرية من أهمها « الحانة
وأماكن أخرى » عام ١٩٦٩ ، الذى نال جائزة دار الأمريكتين ،
و « البحر » ١٩٦٢ و « دور المُهان » ١٩٦٤ ، و « الشهود » ١٩٦٤ .

أحمد حسان

كيتو . شباط (فبراير) ١٩٧٦ أضرم النار وأدعوه

ليلة فى دار ايفان اغويث . أشرع فى الكلام عن روكى دالتون .
كان روكى حماقة حسية لاتتوقف قط . هو الآن يجري فى ذاكرتى .
ماذا فعل الموت حتى قبضه ؟

كانوا سيعدمونه ، وقبل أربعة أيام من تنفيذ الحكم سقطت الحكومة .
مرة أخرى كان سيعدم ، وشق زلزال جدران السجن فهرب . دكتاتوريات
السلفادور - البلد الصغير الذى هو بلده ، والذى كان يحمله موشوماً فى
جسمه كله - لم تتمكن قط منه . الموت انتقم من هذا الانسان الغريب
الذى استهزأ به استهزاء . فى النهاية ثقبه بالرصاص غدراً : أرسل إليه
الرصاص من المكان ذاته الذى لم يكن ينتظر أن يجئ منه . ظل الأمر
خلال شهور مشكوكاً فيه ، أو غير معروف . أمات أم لم يموت ؟ مات . لم
تذبذب المبرقات لتعلن اغتيال هذا الشاعر الذى ما وُلد فى باريس ولا فى
نيويورك .

هو كان أمرحنا جميعاً . وابشعنا . هناك أشخاص دمام لكنهم
يستطيعون أن يقولوا « أنا دميم لكنى متناسق » على الأقل . هولا . كان
وجهه ملوياً . كان يدافع عن نفسه قائلاً أنه لم يولد هكذا . كان يقول
هكذا تركوه . أولاً ضربة أجرة على الأنف وهو يلعب كرة القدم ، بسبب
ضربة جزاء مشكوك فيها . ثم ضربة حجر على العين اليمنى . بعد ذلك
ضربة زجاجة من طرف زوج يشك . ثم الضرب المبرح من طرف عسكر
السلفادور الذين لم يكونوا يفهمون شغفه بالماركسية اللينينية . ثم علقه
غامضة فى زاوية ل « مالاسترانا » ببراغ . تركته عصابة من السوقيين
مرمياً على الأرض بكسر مزدوج فى عظم الفك ، وارتجاج دماغى .

بعد ذلك بعامين ، وأثناء مناورة عسكرية ، كان روكى يجرى ، البندقية
فى اليد والحربة مُرغبة فسقط فى بئر . كانت هناك خنزيرة هائلة ولدت
حديثاً ومعها كل خنيزيراتها : هذه الخنزيرة حطمت ما كان تبقى منه .

فى يوليو من ١٩٧٠ حكى لى ، وهو مخنوق من الضحك ، قصة
الخنزيرة ، وأرانى اليوم قصص مصورة تحكى بطولات الأخوة دالتون
المشهورين - وهم لصوص من النوع الذى نراه فى أفلام الغرب
الأمريكى - الذين كانوا أسلافه .

شعر دالتون كان مثله مضايقاً مقاتلاً ودوداً . كان مُفرط الشجاعة ،
ولذلك لم يكن فى حاجة الى ذكرها .

أتكلم عن روكى وأجئ به هذه الليلة الى دار إيفان . لم يعرفه أحد من الموجودين هنا . ماذا يهم ذلك ؟ إيفان عنده نسخة من « خمارة وأماكن أخرى » . حتى أن كان عندى هذا الكتاب فى زمن مضى ، فى مونتيڤيديو أفتش فى « خمارة » عن قصيدة فلا أجدها ، قصيدة ربما تخيلتها ، ولكن يمكن أن يكون كتبها هو ، حول حظ وجمال أن يكون الانسان ولد فى أميركا .

إيفان الذى يعرف خمارة أوڤليكا فى براغ ، يقرأ قصيدة بصوت مرتفع . لويس يقرأ قصيدة طويلة أو قصة حب . ينتقل الكتاب من يد إلى يد . أنا أختار أبياتاً تتحدث عن جمال مجئ الغضب فجأة .

كل واحد يدخل الموت بطريقة تشبّهه . بعضهم يفعلون ذلك فى صمت ، على أطراف الأصابع . آخرون ماشين القهقري . آخرون طالبين المسامحة أو الإذن . هناك من يدخل مجادلاً أو مُطالباً بتفسيرات ، وهناك من يفتح طريقه فيه لأكما ، سابا ، هناك من يعانقه . هناك من يغطى عينيه . هناك من يبكى . أنا فكرت دائماً أن روكى سيدخل الموت مقهقهأ . أسأل نفسى الآن هل استطاع فعل ذلك . أكان ألم الموت مغتالا من طرف من كانوا رفقاءه أقوى ؟

عندئذ يرن الجرس . المتكلم هو أومبيرتو بينويثا ، وكان فى دار أغوستين كوبييا . يقول فورُ فتح إيفان الباب دون أن يكون أحد قد فسرَّله أو قال شيئاً :

— كانت جماعة منشقة .

— ماذا ؟ كيف ؟

— الذين قتلوا روكى دالتون . أغوستين هو الذى قال لى . فى مكسيكو قالوا إن ..

يجلس أومبيرتو بيننا .

نبقى كلنا ساكنين ، منصتين الى المطر الذى يضرب زجاج النوافذ .

من : السلطة كاليمان : أخذ باليسرى وعزف باليمينى

بقلم إدواردو جاليانو — ترجمة محمد العشيري

مجلة الكرمل — العدد ١٥

البحر (تنويعات)

البحر (تنويعات)

I

إلى تاتى ، وميرى ، ومارجريت ،
الذين تقاسمت معهم موجة ..

ثمة صخورٌ ضخمة فى ظلمتك العاصفه
صخورٌ ضخمة غَسَلْ ظُلكُكُ توارىخها
فظلَّك يَلْتهم حتى شمسَ النهار
تطقطقُ فى بريدك مودعةً الهواء
الذى لا يجروُ على إختراقك
أيها البحرُ حيث يستطيع اليائسون النوم
تهدهدهم إنفجاراتٌ لا مبالية
يا أبجدية الدُوار المشهد المذاب الذى تهاجمه الجدران
ربيعك النوارس وزبدُ الأسماك
غضبك هَرَمٌ أخضر
ومناخك بعثٌ لأشد النيران إستيعاراً
أفضلُ أثاركَ هو قوقعُ
يدرع الصحراء بخطوات طفل
(أحببتُ دوماً تلك القرى المتباينة
التي تبدو وقد سُرقت من يديّ البحر

مدنٌ صغيرة تجاور الرمل
موانئٌ صاخبة في سَكْرَةِ الملح
ضياغٌ ترتجفُ بين الضباب الملى بالمرجان
مدنٌ ضخمة هائلة في مواجهة العواصف المُستدلة
قرى صيادين عميان تحت فنار زيتي
متاجرٌ مترصدة بكسين طويل بين مستنقعات المانجروف *
قالبارايسو مثل شلالٍ ضخمٍ معلق
مانتا پونه موانئ الإكوادور التي ضنت على بأوراق الشجر
بوينيا بنتورا الفواحة مثل فرجٍ ضخمٍ قذر
بنما بعيونها التي وخزها الفسق
كارتاخينا جائعة تنتظرُ القراصنة دوماً
فيلمشتات الغارقة في ممالك البترول
تنيريف وكأسٌ نبيذها الحلو
برشلونة التي تتأبُّ بين البنوك ورجال الدرك
ناپولي المتورمة بجمال
جنوا ليننجراد سوتشي لاجوايرا بوينس آيرس
مونتفيدو مثل أقحوانية
بويرتو ليمون كورنثة
أكاخوتلا على شاطئٍ متمهلٍ في وطني
كلها تنتظرُ الى نفسها في المرأة الثقيلة التي تحرثُ بها الدرافيلُ
قاطعة بسيفٍ خاطف
سنابل الزمرد اللانهائية)

II

« ... ملح التضحيات .. »

لو أنقذ الليل قبته الفوسفورية
وتجعدت تحت البرق وحوشك الضائعة
فالأسماك الطليقة عشرة أطفالٍ مسرعين
يُنضجون عميقين نشيد الحراشف
الأوكسجين الميت على المعادن

* المانجروف : شجرة استوائية ريزومية تنبت في المستنقعات الموحلة للشواطئ الاستوائية أو على ضفاف المصبات . م

حين يمرّ إستعراض لأفراس البحر المذهبة
يعكّر الماء الأخضر بجرحه اللعين
بينما يمضى أصمّاً طقس الأخطبوط
ملح التضحيات الجوار المتأكل
الضوء بلا لهب قارض الحرق السائل
الدّم الشاحب القديم للتيار الغاضب
حيث يبعث الغرقى حمّاهم
البحر البحر يدفن نبأه المالح
البحر يلتهم أصمّاً حرق الشمس
البحر يشهر وجهه يشهر ندبته إلى السماء
البحر يسقط مهشماً فى رعاية الهاوية
على أرصفة المرفأ يخدعنا
قوّح الطحالب المهزومة للإسماك المُرّة
البحر ليس جثة إنه حلم تجلده السياط
تية متحرك ترتجف فيه النجوم
أيها المصبّ

ها قد هبطت اليوم مرة أخرى من الجبل الأسود
بدون مصباحك .

(تأتين إلى بتلصص شخص منحرف عذب
متجنباً النظرات الفضولية للقرية
حسد العجائز الغارقات فى الحرارة
صرخات الأطفال يحاولون أن يتعلقوا بنضارتك ..)
ظللنا عاريين ننظر إلى بعضنا فى الظلمة الناعمة
متذكرين الأيام القديمة التى تولد دوماً فى دمنا
وفى ساعة الحب أصبحنا أرق من أى وقت مضى
مسكونين بالكلمات الصغيرة أكثر من أى وقت مضى
وكل حواسنا مفتوحة مثل زهرة فى الشمس .
استيقظت قبل الشروق
وأرى أن شكل جسدي قد بقى
مرسوماً على الوسادة .
وخرجت لأغتسل بماء مطر البارحة
ونسيت أن أغنى للنوارس
مثل كل يوم ...

III

قاربُ مُحَمَّلٌ

بالسَّام

قاربُ مُحَمَّلٌ بجماعاتٍ صامتة

تهربُ ببطءٍ ميتٍ إلى فكاكِ السرخس .

عند مقدّمة القاربِ نقطعُ جدارَ الهواءِ الهائل

ونفكرُ صامتَيْنِ فى البلد

الذى بقى فيه الحبيب يرتجفُ فى وحدته الأولى .

الكتبُ مُنْذَاةً بالملح

والماءُ يبدو من هنا كميدانٍ ضخمٍ مجهور .

يا للطبقاتِ المتراكبةِ لوحشتكِ التى تجلدها السياط !

لعريكِ العرى الباردَ لصخرةٍ سوداء

الذى يتكاسلُ هناك عند الأفق بين ذراعى الريح !

أيها المصّب

إنتهى فجر السابحين .

لست ملتزماً .

إننى فقط أفتحُ النافذة

حتى تجيءَ إليكم وردة اليود الضخمة

الوردة العنيفة الأشد تبعثرا

الموجودة هنا برمتها والتى تضعُ ملمسها فى كل شئ .

حين أراكما عاريين تتحابان تحت الملاءة الخفيفة

— نظرة مرتجفة تحت الجفنين المغمضين —

أعرفُ أنه ليس فقط هذا العالم ذى الحافة البحرية

هذا الفوح القاطع للملح الساخن

هو ما يلطم وجهى بالأشواق الرطبة .

ما كان يجب أبداً أن أدعها تمضى .

إننى لأشدُ أسفاً على ذلك فى بعض أيام الأحد مثل هذا الأحد الحادى عشر

الذى لا يهتمُّ كما فيه وجودى فى نهاية الأمر

وتتضاجعان طويلاً

بعنف تحت الملاءة الخفيفة

نظرةً مرتجفةً تحت الجفنين المغمضين .

IV

يومَ يطيلُ السمكُ الأبُ عقابه فى الهواء

يومَ يُخاطرُ بنفسه فى الهواء القاتل

وفى آخر حراشفه تعلقُ بقايا من طحالب
بقايا من طحالب شاحبة صفراء
بقيت بعد أن إنغمرت لا أدري كم مرة
يوم يتوقف جرحى عند شاطئ الزبد
عند حافة عدوانه المُشتت حافة أسنانه الصغيرة
المتطايرة

يوم يكونُ المستنقعُ هو الأفق
مقلوبة في سكرته وردة الرياح
لا يمكن

لا يمكنُ التفكير سوى في المتاهات التى ندينُ بها
فى الأسرار العميقة التى توقعُ القلب فى أحولتها .
ولا مكانَ لطرد الأرواح الشريرة إنه الخواء المكتمل
للقلق فى قلب الرطوبة المهيمنة
كلُّ الأسئلة تمضى إلى قلب العظام
وهناك تبقى مثل فصول عام مشئوم .
ولا حتى إكمال أثار أقدامنا يمكنه التمرد
فى الظل المضاد ينأى عطشنا
وعرى الحمامات هو وحده ما يرنُّ
فى السمع الذى يُقرُّ بأن الضربات قد أرهقته .

(كم نشتهى أن نمضى حتى جنس مفتاح اللغز حتى الهمهمة
الواثقة من نفسها فى الحميمية الدفينة
لكن أى مفتاح أى مزلاج نُقبلُ
فلا يبيعنا لمواكب الحرس
بأى مرارة نقذف كل ما تبقى لنا من حظ
دون أن يجعلنا ذلك ننزلُ فى نباتاته
الخائنة المنبعثة من الرماد ؟)

البحرُ واللحظة لا يمكن فك طلاسهما حتى الآن .
فلنشرب

فلنشرب كأساً من هذا الروم السئ الصيت
فلنتباعد نحو قمة الشاطئ
هذا الشاطئ الذى رملهُ جُثَّة مرمز مفتت
ولنعد أنفسنا للإجابة على الحلم الذى سيأتى .

هافانا ، مايو ١٩٦٢

دور المهان

دورُ المهان

إهداءات

إلى أمى ، صانعة التضحية . إلى وينال دالتون ، الأسطورة الحميمة .
إلى زوجتى ، شريكة القلب . إلى جنوبييا ، الرقة الميَّنة .
إليك ، يا من لا أحتملُ نظرتك .
إلى ميجيل مارمول ، الذى أعدمَ رمياً بالرصاص ويتمتعُ بصحة جيدة .
إلى الدكتور إلياس ناندينو .
إلى رجل البوليس الذى ألقى إلى خمسة وعشرين سنثافو من خلال
القضبان لأشترى لنفسى سجائر ضد اليأس .
إلى توماس جييرمولوبث ، زميل الجامعة الذى استجوبنى بكراهية فى
الليالى الباردة لإحتجازى فى مقر البوليس القومى .
إلى الجنرال مانويل أليمان مانتانارس : لأنه من أجل التوصل إلى
عقوبات قاسية ضدى ، قام بأفضل تقرير لحياتى ، وهو تقرير مبالغ فيه
جداً ، فى الحقيقة .

لقد لكمثُمونى صافعينَ
باليد القاسية وجهى
(العارى والطاهر)
مثل زهرة يشرقُ فيها
الربيعُ)
لقد سجنثُمونى أكثرَ
بعيونكم الحانقة
وقلبى يموتُ من البرد
تحت شلال الكراهية

لقد إحتقرتم حُبى
سخرتم من هديته الصغيرة الحيية
دون أن تودوا فهم متاهات
رقتى

والآن حان دورى
دور المهان الصامت أعواماً
رغم الصرخات

فاصمتوا

إصمتوا

وأنصتوا

الندوب

القرار

(خواريث إى بالديراس ، ٣٠ : ٢١ مساءً)

وحتى لو لم يكن القلب ذلك الحيوان المتوثب الذى قد نتوقعه
فإنه يكفى كى نشرب بشغف الحب والسكاكين التى تحوطنا .

كل المدينة الهائلة تجد نفسها سجينه فى هذه الناصية

التي تشبه عيناً ضخمة تنفتح

إلى حيث تطلب اللانهاية هدنة من عطش البشر للذهاب

إلى مدى أبعد

لقد أنقذت إشارتى اللمعة :

فأنا أنكرُ النشوة وأمجّد الهدوء المرّ

أعنى أننى بإبتسامة صغيرة وبالبذلة القديمة النظيفة سأقبلُ

كل الميئات التى تخصنى

حتى ميئات تلك النساء ذوات العيون المتدفقة اللائى تركتُهُنَّ

غارقات فى الصمت

تتحسّن بأيديهنّ المالحة من الدموع روحهنّ التى سَحَقَتْها

بحوافرى الجميلة

لقد تقرر كل شيء منذ ثوانٍ - آه يا للعناد الذى تسقط
به فى الحياة حكايتى المسرعة
بحيث لا تعود ثمة ضرورة للفتور الأخوى ، فصل الرقة
فى هذا العام الليلى ذى الإثنى عشرة ساعة .
ورغم ذلك - يا للرغبات الخائنة ! - فصوب تلك المحاولات
الحلوة تنفلت إبتسامتى مثل حمامة خضراء ناضرة
ومن جديد يمكنكم أن تسموني الأخ البائس الرفيق الممرق البائس .
الشاعر ككلى من أجل خبز كل ليلة .
آه من الموت : إقذفوا - ماذا يهم - سنانيركم العميقة
إقذفوا حتى الحياة ، إذا شئتم ، مثل إنهيار جليدى تالي
فالقبول يعنى الوجود وقد قبلت كل شيء
كل شيء
حتى ذلك الذى لا تودون نطقه خوفاً من التواطؤ القاتل دوماً
بفتوره العنيد .

وطنى بعيد

بعيدٌ عن العالم ، بعيدٌ
عن النظام الطبيعى للكلمات ؛
بعيد ،
على مبعدة إثنى عشر ألف كيلو متر
من حيث يكون الحديد بيتاً للإنسان وينمو
مثل زهرة نادرة تعشق السحب ؛
بعيدٌ عن الأقحوان ، عن جناح البطريق الناعم ،
عن البحار المظلمة التى تلعن من البرد ؛
بعيدٌ ، بعيد جداً عن حيث يكون منتصف الليل مسكوناً
وحيث تملئ علينا الآلهة صوتهما الأمر ؛
بعيدٌ أيضاً عن حيث تخلف الأمل ،
عن حيث يولد النحيب ميئاً أو ينتحر
قبل أن تخنقه القمامة ؛

بعيدٌ عن حيث تكررُ الطيورُ ،
عن حيث تحدّثك عن الحب ذئابٌ تنته وتدعوك
إلى فراشٍ من العاج ؛

بعيدٌ عن حيث تتأمرُ الحداثُ ضدّ جمالها
بالسكاكين التي يمنحها لها الدخان ؛

بعيدٌ ،

بعيدٌ

بعيدٌ عن حيث يكونُ الهواءُ زجاجةً رماديةً ضخمة ؛
عن حيث يقدمُ الجميع فقاعات صابون بشعة
ويشرب ملائكة فاسقون مع أطفال وقحين
سمّ البرّدة ضد كل شروق ممكن ؛

بعيدٌ عن غمغمة الأقنعة ؛
بعيدٌ عن حيث لاتعمى العاريات بضوء جلدهن ؛
بعيدٌ عن راحة القئ ؛

بعيدٌ عن حسيّة البانتوميم ،
عن التيار الدفين للعناتة التي بلا قرار ؛

بعيد ، بعيد بصورة فظيعة
عن حيث تجوب الشوارع حيوانات خرافية من الحرير ،
عن حيث ترتجف الغابات مهزومة وتهرب
عن حيث يكونُ لكل مفتاح بابٌ ينتظره مؤرقاً ؛

عن حيث تتولدُ عمياء موسيقى الذهب
عن حيث تنبجُ طليقة قطعان الكوبالت ؛

بعيدٌ ، بعيدٌ بصورة قاطعة
عن حيث يموت الشهيد رجماً بالسخرية
ويكون القديس مهرجاً يظل صامتاً .

التحدث بوضوح

مضى آخرُ النائحين
باحثاً عن عزاء المهرّجين .
(عارياً يمكنني أن أبقى في هذا الميدان الكبير

الذى تضيؤه توهجات السكون
ما لم ترنى عين متطفلة .
أه هذا الهجران قاتل
إذ يبعث برده من السنة اللهب .
أتمنى أن يأتى أحد من جديد ليسمعنى
ويبكي معى حتى النهاية .
ربما جرؤت عندئذ على جعل الحقيقة أقل مرارة .

من ثقب المفتاح

أرى

أعتقد أنهم قد خدعونا بما يكفى .
لدى الآن مفتاح اللغز
فقد أعطانى إياه الألم بين ضحكات ثمل
بين بصقات سجان ونظرات كلب
هائج بلا رحمة .
كذلك أعرف ما يلى : سيكون من اصعب تعويد البشر
على ذلك العرى الذى يسقط فيه من يملك الضوء .
سيكون من الصعب إقناعهم بأن كل ضحكة حتى اليوم كانت ضد نفسها
أن الأيدي الممدودة نحوهم كانت كلها بأظافر قاسية .
(الجو باردٌ بعض الشيء لكن هذا أفضل
فقد إنطفأت النيران القاتلة
تورّد الجلد فى ذروة العريضة
الأسطورة المحمومة التى تولدها الخمر المنزلية فى الدماء
أعشاش العنكبوت العنيدة فى اللسان) .
سأنزع على الفور بعض الأستار الأخيرة .
أما الجروح
فسأتولاها أنا .

أرق

السماء بحيرة كبيرة

البحيرة سماء صغيره

(حتى الأحجار يُسمع صُراخها فى مستشفى المجانين هذا

والصنوبرات كأصابع ضخمة خارجة من القبر

تتلقى من القمر ظلالا صلبة

ظلالا من الدُخان الأسود أو الجرانيت

وددت لو أعود إلى السلفادور

لكننى لا أدري هل هو بلد أحلم به

مجرد أمنية

وليدة اللهب الأخضر لمرضى (

الأرق شبكة حمراء أو بنفسجية

بئر بلا قاع

لا يضيؤها حتى الفجر

صلب متاجع

لا يكف أبداً عن الاحتراق

هل كان ذلك جرساً نائياً

أم القلب ؟

من جديد أصبحت الساعة

الرابعة صباحاً

ماريا

كانت تُسمى ماريا وكانت صديقة للرب .

لكننى أتذكرها أفضل بشيئها

وهما يجرحان خدى فى الشروق

القاتر

لأيام الأحد .

ماريّا تيكون

أيام الأسطورة حين أحببتني دون أسئلة
جعلت المدينة تكتسب هيئة لعبة
وحين أتركك في الليل كنت أعود الى منزلي ،
مثلما في صور ميلاد المسيح ، مرحاً عبر شوارع من نشارة الخشب

في المرأة المرتجفة والكئيبة للبرك
كنت أنظر إلى وجهي بجوار القمر
وأبحث عن قبلايك حتى لاتضيء
أحلام الطيور الضائعة في وسادتي

كان عسس من صلصال وديكّه من صفيح
يسخرون مني في صمت غامزين ، لا أدرى كيف ، بعيونهم الساكنة
وحتى النائمين كانوا عند مروري يتناقلون الأقاويل بحسد في عُرفهم
ويقولون أنك خطيبة يسوع الطفل

بطحلب منتزع من حيث تولد منابع كولمبس
كانت حدائق الحلم تنتظرني بنضارتها الخضراء
لكن حرارة أطراف أصابعك كانت طعنة بلغ من عمقها
أن بائع شطائر الذرة كان عند الشروق يغسل في حدقتي
عينه الضخمة العارية مثلما في وعائين من دم
بين أشجار مكسوة بورق زينة من قلب النيلة
كنت أقضي النهار الجديد منصتاً إلى فرقة موسيقية
من رؤساء الملائكة المُسنّين
يُشكّلون بشعورهم القطنية أنهاراً جديدة في النسيم

بعدها كنت أقابلك مع العسق
- بشجرته السامقة من النار المشتعلة حقاً -
وألحق في يديك جلد حلوى اللوز

وحولنا كانت الدُمي ذات الخدود الزهرية
تشربُ بيرة من اللقاح والدخان

* بائع شطائر الذرة . ترجمة تقريبية لكلمة nixtamalero وتعني في المكسيك من يبيع ذرة نصف مغلية لصنع الشطائر . وينهض الصانع عادة عند الفجر ليغسل الذرة ويطحنها لبيعها .
ويسمى باسم الصانع أول نجم يظهر في الصباح في الوقت الذي ينهض فيه - م

أواه . لكن بعد بضعة أشهر خَطر لك أن تكبُرى وبعَدتِ عنى
بإيماءةٍ فظيعةٍ لشخص بالغ .
منذ ذلك الحين إستعادت المدينةُ دورها حجمها المعتاد
وفى شوارعها الأسفلتية السوداء يضرب المواطنون بأيديهم
روحى ، روح الصبي الحزين الذى مازال بحاجة الى اللّعب

أحبك

كلّ الأيام تحت كل طقس
فى كل الأماكن
أحبك .

سرعان ما يبرز الصباح من النوافذ
وأستعيد نفسى وئيداً من الفتور .
بماء بارد أشفى جراح الخمر
وأحبك .

ما من خلافٍ مع أى شئ مما يحوطنى
لكننى ضد كل ما يحوطنى أحبك .

أنغمسُ فى الحياة
أتَحسُسُ كلمات جديدة إيماءات غريبة جديدة
فى شمس الشارع أرفع جبهتى المهمة
أحبك .

أعودُ إلى الوحدة وأحبك .
الباقى كله عبث .
أحبك .

عارية

أحب عُريك
لأن مسامكِ تشربنى وأنت عارية ،
كما يفعلُ الماء حين أغوص بين جدرانهِ .
عُريك يهدمُ بحرارته الحدودَ ،
يفتحُ كل أبوابى حتى أحدثكِ ،

يأخذنى من يدى مثل طفل تائه
يريح فيك عُمره وأسلته .
جلدك العذب والمالح الذى أتنفسه وأرشفه
يصبح كوني ، الإيمان الذى يغذيني ؛
المصباح العطرى الذى أرفعه فى عمای
حين تنبح فى الرغبات قرب الظلال .
حين تتعرين لى بعينين مغمضتين
تسَعِك كأس قريبة من لسانى ،
يسعك ما تحت جسدی الأكثر إكتمالا من ظله .
يوم تموتين سأدفنك عارية
حتى يكون إقتسامك فى الأرض عادلا ،
حتى يمكننى أن أقبل جلدك فى الطُرق ،
وأضفر فى كل نهر شعرك المشعث .
يوم تموتين سأدفنك عارية ،
مثلما يوم ولدت من جديد بين ساقى .

الهزيع الأخير من الليل

إذا عرفت أننى متٌ فلا تنطقى بإسمى
حتى لا يتوقف الموت والراحة .
صوتك جرس الحواس الخمس ،
سيكونُ الفئار الخافت الذى تفتش عنه ظلمتى .
إذا عرفت أننى مت فاطلقى مقاطع غريبة .
إنطقى : زهرة ، نحلة ، دمة ، خبزاً ، عاصفة .
لاتدعى شفتيك تعثران على حروفى الأحد عشر
يغالبنى النوم ، لقد أحببت ، وكسبت الصمت .
لاتنطقى بإسمى إذا عرفت أننى مت :
حتى لايجئ بى صوتك من التربة الداكنة .
لاتنطقى باسمى ، لاتنطقى باسمى .
إذا عرفت أننى مت فلا تنطقى باسمى .

الشهود

إلى روكى أنطونيو ،
وخوان خوسيه ،
وخورخى بلاديمير ، فهم
سيرثون أملى
إلى مارجريتا ، من أجل الحب
الذى لم أكن أعرفه ،
والذى تعلمته معها .

لست مجرد من يتحدث
فالعاصفة قديمة قَدَم النظرة
أو نبضات الدهشة فى أيام القلب .
أستخدم هذه الكلمة التى صادفتها فجأة
فى أحد شوارع المدينة أو بين أوراق الشجر
فى ساعة كان فيها الجميع قد توانوا عن اليقظة .
لهذا ستعرفون عليها بسهولة .
إنها كالمرأة الأثيرة
المستعادة من لعب الطفولة
والفرق الوحيد أن ملمس التاريخ يبدو هنا .
كل المدلولات تنمو
تمزق كيس الرموز
وتُصبِح لحم العين
الفنار الوحيد حمّام المصير .
لهذا لا تودون معرفة إسمى .
يجب أن يُمزق كل ما يمحو منا وقتاً .
فليتصدر الشاهد النزيه ولا يكونن بيننا

سوى العطش الذى ينبثق أمام إستلقاء النبع البادى .
ها نحن نحيا إذن فى قلب الكلمة
بين مفردات الشجر والأعداء والمعارف
ولسنا دائماً ودعاء تجاه الأكاذيب التى تصوغ نفسها
من صخرة الحقيقة بقوة بقاء ضخمة .
بهذا المعنى فإننى إذا شئتُ الشاهد
لكنه شاهدٌ بلا جدوى فقد أفسدته العاطفة .
المهم فى هذه الحالة إذن هو أنتم .
لكن لا تفرطوا فى الخوف ففى أسوأ الحالات
سيكون المُعاقَبُ الوحيد هو أنا .
فليس فى هذا الأمر موتٌ لسواى .

العالم لآخر

إلى إراكليو ثيبيدا

طقس من أجل أن تولد زهرة فوق الهرم الكبير

هنا أتركُ لك حفنة الماء هذه
أيها الهرمُ بالشمس فوق قمته
لتعينك ضد تكلُّس الظهيرة
ضد المهانة القديمة لك من قِبَل ذلك إله ذى الأشعة
الجميعُ يطأونك ويجلبون لك الترابَ
يلطمون بأقدامهم حديثك الحجرية الضخمة
يخدِ شونك ويبولون عليك بلغاتٍ مطحونة
لكن لا أحد يتذكرُ أنَّ النضارة كانت أفضل إحتفالاتك
لذا أجلب لك حفنة الماء هذه
النهرُ وأنا نضعُها على جبهتك
حتى تبتسم وتنطق زهرة

غيش العام

أذكر حين كنت أتحدث عن لىسا

سرتُ يوما فى شوارع فيينا
فقيراً كالصيف كحقيبة بين أخريات
حتى شارع الأمير أيوجين
فوق أرصفة حكيمة تحت الاعلانات
كتفى بكتف واجهات المحلات
نابتاً لأوربا مثل قطعة طين نائية
جلبها بهمة أحد السياح
من حجه الأخير .

حرّك تشايكوفسكى مشاعري مثل إعجاز
(واضح أننى كنت أحمقاً ومرتاحاً)
واستشعرت فى كل باب طاهر
شيئاً بمقدوره أن يخفق رايات ترفى .
الشئ الوحيد الذى يصلحنى الآن مع ذلك اليوم الحمضى
هو ذكرى شحاذٍ عجوز نظر إلى وأنا أمر
مثلما ينظر إلى طفلٍ عارٍ
وكان قد فاجأنى قبلها بلحظات
بأن نطق بصوت عالٍ إسْمك .

الذاكرة

هكذا كانت أمسيات صبانا الباكر
كنا نستمعُ إلى « الأوراق الميتة » و « My Foolish Heart »
أو « دون كلام فى فندق الميناء »
وكان لك إسْم واضح

يرنُ رنيناً جميلاً جداً بصوت خفيض
وكنْتُ أؤمنُ بالهبة أبائى القدماء
وأحكى لك أكاذيب حُلوة
عن الحياة فى البلاد البعيدة التى زرتها .

فى ليالى السبت
كنا نتمشى لمسافات طويلة فوق الرمل الرطب
حافيين متشابكى الأيدي فى صمت عميق
لا يقطعه سوى الصيادين فى زوارقهم المضاءة
وهم يتمنون لنا السعادة صائحين .

بعدها نعود إل كوخ بيلى
ونتناول كأساً من الكونياك بجوار اللهب
ونحن جالسان على سجادة لورسات الصغيرة
وبعدها أقبل شعرك المحلول
وأبدأ فى التجوال فوق جسدك بهاتين اليدين الخبيرتين
اللتين لم ترتعشا قط فى الحب أو فى المعركة .

كان عريك ييزغ فى ليلة المخدع الصغيرة
من اللهب بين الأشياء الخشبية
تحت المصباح المتهالك
مثل زهرة غريبة تحمل كل الأمنيات
ليفعمنى دائماً بالدهشة
ويدعونى إلى اكتشافات جديدة .
وكان نقسك ونفسى نهريْن متجاورين
وجلدي وجلدى أرضين بلا حدود
وأنا فيك كالعاصفة تلمس جذر البراكين
وأنت لى كالزقاق المطير
أمام ضوء الشروق .

وتأتى لحظة لا تكونين فيها سوى البحر
البحر وحده بأسماكه وملحه
أمام عطشى بأسراره الحمراء المرجانية
وكنْتُ أشريك بسخاء المتضائل
مرة أخرى سر كل المياه مجتمعة
فى الثقب الصغير الذى يثقبه الطفل فى الرمل .
أواه يا حبي فقد حانت بعد سنوات قليلة الساعة
التي يبدأ فيها وجهك فى الوهن

وتزداد ذاكرتى فراغاً منك .
كان إسمك صغيراً ويظهر فى إحدى أغنيات
ذلك الزمان .

الحانة وأماكن أخرى

عزيزى خورخى :

لقد وصلت إلى الثورة عن طريق
الشعر . سيكون بإمكانك أن تصل (إذا
شئت ، إذا أحسست بالحاجة لذلك)
إلى الشعر عن طريق الثورة . ولك بذلك
ميزة . لكن تذكر ، أنك لو كنت
قد وجدت ذات مرة دافعاً خاصاً للاحتجاج
بصحبتى فى النضال ، فبعض الفضل
فى ذلك يعود أيضاً الى الشعر .

البلد

٢٧ عاماً

إنه لشئ خطير
أن يبلغ المرء السابعة والعشرين
إنه حقاً لواحد
من أخطر الأشياء
فحول المرء يموت أصدقاء
الطفولة الغريقة
ويبدأ المرء يشك
فى خلوده .

استراحة المحارب

الموتى يصبحون كل يوم أصعب مراساً .

من قبل كان أمرهم سهلاً :

كنا نمنحهم ياقةً منشأة أو زهرة

نلهج بأسمائهم فى قائمة طويلة :

إن ساحات الوطن

إن الظلال النبيلة

إن المرمر الوحشى .

كانت الجثة تُوقَّع فى أعقاب الذاكرة

وتمضى من جديد الى الطابور

لتسير على إيقاع موسيقانا القديمة .

لكن مهلاً

فالموتى

قد تغيروا منذ ذلك الحين .

اليوم يتهكمون

ويسألون .

يبدو لى أنهم يدركون

أنهم ، تدريجياً ، يصبحون هم الأغلبية .

النقمة الكبرى

يا وطنى أنت غير موجود

فلست سوى ظل سئ لى

كلمة للعدو صدقته

من قبل إعتقدت فقط أنك بالغ الصغر

بحيث لا تبلغ درجة أن يكون لك

شمال وجنوب

لكننى الآن أعرف أنك غير موجود

كذلك يبدو أن أحداً لا يحتاجك
فلا تُسمع قط أم تتحدث عنك
وهذا يبهجنى

لأنه يثبت أننى اخترعت لنفسى وطناً
ولو أدّى بى ذلك إلى مستشفى المجانين
إننى إذن إله صغير على حسابك
(أود أن أقول : لأننى منفى عن الوطن
فإنك وطن سابق)^٥

بحثاً عن المتاعب

أمطرت ليلة أول اجتماع لى فى الخلية
امتدحت أربع أو خمس شخصيات
من عالم جويًا طريقيتى فى التفصّد عرقاً
بدا أن الجميع ينتابهم سأم خفيف
ربما من الاضطهاد أو حتى التعذيب
الذى يحلمون به يومياً .
أظهر مؤسسو إتحادات وإضرابات
بعض الحنق وقالوا لى أننى يجب
أن أختار اسماً حركياً
أنه سيكون على أن أدفع خمسة بيسو شهرياً
أن موعدنا كل أربعاء
وكيف تمضى دراستى
وأنا اليوم سنقرأ كتيباً للينين
وأنه ليس ضرورياً أن أظل أردد كلمة رفيق .
حين خرجنا كان المطر قد توقف
وتشاجرت معى أمى لأننى عدت متأخراً .

* التلاعب بالألفاظ هنا بين expatriado أى منفى عن وطنه ، وبين ex patria أى وطن سابق - م .

قصائد السجن الأخير

العيد الوطنى

اليوم كان العيد الوطنى : إستيقظت شبه محطّم ، فوق الأرض الرطبة
الجارحة مثل فم ذئب ميّت ، بين الغازات المُسكِرة للأناشيد .

١٥ سبتمبر

الصيف

أحس بحروق
الصيف الذى ينمو :
(« أنا ميناء ناءٍ »)
سموم الزواحف
تُنضج قانونها السرى ،
ويثقلُ
دمُ الأشياء .
الحراس يتحدثون عن النساء ،
يزيّتون غداراتهم الداكنة ،
يغنون ..
وأنا
أبدأ فى الامتلاء بالقمل .

١٨ سبتمبر

ينقسم الحرّاس إلى عدّة مجموعات . مجموعة من يقذفون بالطوب
الأرانب وهى تجرى من الحديقة وزهرات الاقحوان فى أفواهها ، مثلاً .
ومجموعة من يسيرون متقافزين أمام زنانتى ، صائحين بكلمات ريفية
وناظرين فى ساعاتهم إلى زبد المطر . ومجموعة من يتبولون عند الفجر فى
الموعد الذى يوقظوننى فيه (بضوء مصابيحهم التى تعلق وجهى)
ويقولون لى متجهّمين أن الجو اليوم أشد برودة . لكن لا ينتمى إلى أى من
هذه المجموعات الجندى رقم ٣٥٧ ، الذى كان راعياً وموسيقياً والذى
أصبح الآن رجل بوليس بسبب إنتقام غير واضح على الاطلاق والذى
(أعنى رقم ٣٥٧) سيفصلوه فى نهاية هذا الشهر . كل هذا لأنه هرب ذات
ليلة وذهب لينام مع إمرأته حتى التاسعة صباحاً ، مستهزئاً بالتعليمات .
منذ أيام ، أهدانى رقم ٣٥٧ سيجارة . وأمس ، بينما ينظرُ إلىّ وأنا أمضغ
ورقة كبيرة من أوراق الينسون (أفلحت فى جذبها قرب القضبان بعضا
ذات خطاف صنعتها بنفسى) ، سألنى عن كوبا . واليوم ألمح إلى أننى
ربما استطعت كتابة قصيدة صغيرة من أجله - تتحدث عن جبال
تشالاتينانجو - ليحتفظ بها كتذكّار بعد أن يقتلونى .

الحكاية

كُتب فى براغ

حول الصداع

جميلٌ أن يكون المرء شيوعياً ،
ولو سبّب ذلك الكثير من الصداع .

وُصداع الشيوعيين
يُفترض أنه تاريخى ، أى
لا يكفُ بالأقراص المُسكّنة

بل بتحقيق الجنة على الأرض .
هكذا الأمر .

فى ظل الرأسمالية تؤلمنا رؤوسنا
وينزعون رؤوسنا .
وفى النضال من أجل الثورة تصبح الرأس قنبلة موقوتة .

فى البناء الاشتراكى
نُخططُ الصُداق
مما لا يجعله ينذر ، بل على العكس .
فالشيوعية ستكون ، بين أشياء أخرى ،
قرص أسبرين فى حجم الشمس .

أقوال

« الماركسية – اللينينية هى حجر
لتحطيم رأس الامبريالية
والبورجوازية »

« لا .. الماركسية – اللينينية هى شريط المطاط
الذى يُقذَفُ به ذلك الحجر » .

« لا ، لا . الماركسية – اللينينية هى الفكرة
التي تُحرك الذراع

الذى يجذب بدوره شريط المطاط
للنبلة التي تقذف ذلك الحجر » .

« الماركسية – اللينينية هى السيف
لقطع يدى الامبريالية » .

« مهلا ! فالماركسية – اللينينية هى نظرية
عمل طلاء الأظافر للإمبريالية
بينما يجرى تحيُّن الفرصة لتقييد يديها » .

ماذا أفعل إذا كنت قد قضيت عمري
أقرأ الماركسية – اللينينية
وحين كبرتُ نسيت

أن جيوبى مليئة بالأحجار
وبجيبى الخلفى نبلة
وأن باستطاعتي حقاً الحصول على سيف
وأنتى لا أطيق البقاء خمس دقائق
فى صالون تجميل ؟

قصائد سرية

طُرق الموت

القومندان إرنستو تشى جيشارا
الذى يدعو المسالمون
« المغامر العظيم للنضال المسلح »
مضى وطبق مفاهيمه الثورية
على بوليفيا .
وفى الإختبار ضاعت حياته وحياة حفنة من الأبطال .
المسالمون العظام دعاة الطريق المتعقلة
طبقوا هم أيضاً مفاهيمهم الخاصة فى تشيلى :
والموتى يتجاوزون الثلاثين ألفاً .
فليفكر القارئ فيما قد يقوله لنا ،
لو إستطاعوا أن يحدثونا عن خبرتهم ،
الموتى بإسم كل مفهوم .

نصيحة لم تعد ضرورية فى أى مكان من العالم سوى فى السلفادور

لا تنس أبداً
أن الأقل فاشية
بين الفاشيين
هم أيضاً
فاشيون

حول العلوم التطبيقية الحديثة

الإيكولوجيا هي الصدى
الذي يُحدثه الهدير
الذي تُدمر به الرأسمالية العالم .
لذا ، وبصرف النظر عما قد تقوله الجامعة ،
فإن الإيكولوجيا ، أكثر من كونها علماً ،
هي قناع رزين ، دهان تشحيم ،
وفى أفضل الأحوال ،
قرص أسبرين علمي - تكتيكي .
عن قيمتها وفعاليتها يمكن القول
أنه طالما ينتج التدمير الرأسمالي
أرباحاً لسادة العالم
ويظل أهم من الحفاظ على البيئة ،
فإن الفرصة الوحيدة أمام الإيكولوجيا
لتصبح مهمة
هي أن تظل تجارة .

المدارس الجديدة

في اليونان القديمة
كان أرسطو يعلم تلاميذه الفلسفة
وهم يتمشّون في فناء ضخم .
لهذا سُمّيت مدرسته « مدرسة المشائين » .
ونحن الشعراء المناضلين
مشاؤون
أكثر من مشائي أرسطو أولئك
لأننا نتعلم الفلسفة والشعر من الشعب
ونحن نتجول
في مدن وجبال بلادنا .

اليقين

(على أساس فكرة ل ب . خ)

بعد أربع ساعات من التعذيب ، ألقى الزعيم والتابعان دلواً من الماء فوق المتهم لكي يفيق وقالوا له : « الكولونيل أمر بأن نخبرك أنه سيمنحك فرصة لإنقاذ حياتك . سنكفّ عن تعذيبك إذا حزرت من منّا له عين زجاجية . » وبعد أن جال ببصره على وجوه جلّاديه ، أشار المتهم الى أحدهم : « هذا . عينه اليمنى من زجاج » .

قال التابعان المبهوتان : « لقد نجوت ! ، لكن ، كيف استطعت أن تحزر ؟ لقد أخفق كل زملائك ، لأن العين أمريكية ، أى ، كاملة »
« الأمر بسيط جداً » - قال المتهم ، وهو يحس بالإغماء ينتابه من جديد - « إنها العين الوحيدة التى لم تنظر إلى بكراهية » .
وبالطبع ، واصلوا تعذيبه .

هتلر ما تسينى : مقارنة بين تشيلى

عام ١٩٧٤ والسلفادور عام ١٩٣٢

« لا يدهشنى أن يفتروا
على العصابة العسكرية المبجلة فى تشيلى

فهكذا هم الشيوعيون .

يقولون أنه خلال أربعة أشهر

قتل العسكريون

أكثر من ثمانين ألف تشيلى .

وهذه مبالغة

فالدلائل المادية

تقول أن الموتى لا يتجاوزون

نحو الأربعين ألفاً

هكذا كان الأمر بالنسبة للسلفادور عام ١٩٣٢

الشيوعيون يقولون أن الجنرال مارتينيث
قتل فى أقل من شهر
أكثر من ثلاثين ألف جواناكو(*))

وهذه مبالغة :

فالموتى المؤكدون لايتجاوزون العشرين ألفاً .

أما الباقيين

فاعتُبروا مفقودين « .

فى المستقبل

حين يصبح مجتمعنا

عادلاً بصورة أساسية

أو بالأحرى

إشتراكياً

فى أحاديث الحانات

لحظة الاعترافات الحميمة

سيقول أكثر من واحد بنظرة منكسة

« كانت عندى ملكية خاصة لوسائل الإنتاج »

مثلما نقول اليوم

« كان عندى زُهْرَى »

« كانت عندى ميول جنسية شاذة » .

* جواناكو : فى اللهجة المحلية تعنى فلاح جلف - م
